الرب عن فعل من الافعال ولا يعلم وجه امتناع الفعل منه الا من جهة خبره
انه لا يفعل المطابق لعلمه بانه لا يفعل وهولاء منعوا حقيقة ما اخبر به من انه
كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون ٥
باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتابا فهو موضوع عنده
فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي او لم يعلم هولاء ان الخبر المجرد المطابق
للعلم لا يبين وجه فعله وتركه اذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بانه يفعل هذا
او انه لا يفعل هذا ليس فيه تعرض لانه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على
نفسه كما لو اخبر عن كل ما من كان انه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا
بيان لكونه محمودا احمد وحا على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين
قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه
بيان ما يدعو الى الفعل ولا الى الترك بخلاف قوله كتب على نفسه الرحمة وحرم
على نفسه الظلم فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية الى
الفعل وهذا بين واضح اذ ليس المراد به لمجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة
التقدير كما ثبت في الصحيح انه قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فانه قال كتب على نفسه الرحمة ولو اريد
كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة اذ كان
المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الاحسان
كما حرم الظلم ولكان الفرق ثابتا في حقنا بين قوله كتب عليكم القصاص
في القتلى وبين قوله وكل شيء فعلوه في الزبر وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وقوله فيبعث الملك فيؤمر باربع
كلمات فيقال له اكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فهكذا الفرق ايضا ثابت
في حق الله تعالى ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المؤمنين وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يا معاذ
اتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله
اعلم قال فان حقهم عليه ان لا يعذبهم ومنه قوله في غير حديث الا كان حقا على
الله ان يفعل به كذا وكذا فهذا الحق الذي عليه هو احقه على نفسه بقوله
ونظير تحريمه على نفسه وايجابه على نفسه ما اخبر به من قسمه ليفعلن
وكلمته

وكلمته السابقة لقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وقوله لاملان جهنم ولنهلكن الظالمين
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن ٥
عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار فلنسئلن الذين ارسل اليهم
ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الايجاب والمنع بخلاف القسم المتضمن للخبر
المحض ولهذا قال الفقهاء اليمين اما ان توجب اثباتا او منعا او تصديقا
او تكذيبا واذا كان معقولا في الانسان انه يكون امرا مامورا كقوله ان النفس
لامارة بالسوء وقوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى مع ان العبد
له آمر وناه فوقه فالرب الذي ليس فوقه احد كيف لا يتصور ان يكون هو الامر الكاتب
على نفسه الرحمة والناهي المحرم على نفسه الظلم اولى واحرى وكتابته على نفسه ذلك
يستلزم ارادته لذلك ومحبته ورضاه بذلك وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه
لذلك وكراهته له وارادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له وكراهته
لان يفعله يمنع وقوعه منه فاما ما يحبه ويبغضه من افعال عباده فذلك نوع
اخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول مخلوق له وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه
وان كان بالنسبة الى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم كما ان افعال الانسان
هي بالنسبة اليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته
وليس بالنسبة اليه كذلك اذ هذه الاحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل
كما ان الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها
صفات والله تعالى خالق كل صانع وصنعته كما جاء ذلك في الحديث وهو خالق
كل موصوف وصفته ثم صفات المخلوقات ليست صفات له كالالوان والطعوم
والروايح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا ٥
افعالا له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق تزول شبه
كثيرة والامر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن
ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه نقصا وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه
يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لاوجب
نقصا وهذا كله بين ولله الحمد عند الذين اوتوا العلم والايمان وهو ايضا
مستقر في عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم
من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والائمة يذمونه
وذلك ان المعتزلة قالوا قد حصل الاتفاق على ان الله ليس بظالم كما دل
عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما ان العادل من فعل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)